وكان وَهْرِز مُقيماً بصَنعاءَ، فمات، فولّى كسرى أَبرويز عليها ابنَه التينجان[١] بن وهرز، ثم غضب عليه فعَزله، وولّى عليها باذان، فلم يزل عليها حتى مات في صدر الإسلام، وبُعث رسول الله ﷺ وعاملُ أَبرويز عليها باذان، وفيروز، وداذَوَيْه، وقدموا على رسول الله ﷺ[٢]، وقيل: إن الذي خَلُصَت اليمن على يده مَعْدي كرب بن ذي يَزن، والله أعلم.

فصل في قصّة أصحاب الفيل

لما أقام أَبرهةُ بصنعاء، رأى النّاس يتجهّزون أيّامَ الموسم إلى مكة، فقال: أين يذهبون؟ قالوا: إلى البيت الحرام، قال: وما هذا البيت؟ قالوا: بيتٌ بناه إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، قال: وبأي شيء هو مبنيّ؟ قالوا: بالطّين والحجارة، فقال: وحقِّ المسيح، لأبنينَّ لكم بيتاً خيراً منه، فبنى كنيسةً بصَنْعاء؛ لم يُبْنَ في زمانها مثلُها، بناها بالرُّخام، وزَخرَفها بالذَّهب والفضَّة والجواهر واليواقيت، ولطّخ حيطانها بالمِسْك، وجعل في أعلاها قُبَّةً عظيمةً من عجائب الدُّنيا، وجعل على رأسها ياقوتةً حمراءَ تُضيء تلك النّاحية في الليل منها، وجعل على أبوابها السُّتور والحَجَبة والسَّدَنة، وسمّاها: القُلَّيْس، وأمر الناس بحجِّها، وكتب إلى النجاشي: قد بَنيتُ لك كنيسةً لم يُبْنَ مثلُها، ولسْتُ بمُنْتَهٍ حتى أَنقلَ إليها حَجَّ العرب.

فدخل نُفَيلُ بن حبيب الخَثْعميُّ فلطَّخ القُلَّيْس بِعَذِرِه، ودخل أَبرهةُ ليصلّي، فرأى العَذِرة في القُبَّة، فقال: مَن فعل هذا؟ فقال السَّدنة: رجلٌ من العرب، من أهل البيت الذي أبطلت حجَّ النَّاس إليه، غضب لكَعبتهم.

وكان أبرهةُ قد منع أهلَ اليمن من الحجِّ إلى مكة، فأقاموا سنين، فغضب أَبرهةُ، وقال: وحقّ المسيح لأَنقُضنَّ بيتَهم حَجراً حجراً، وكتب إلى النجاشيّ يطلُبُ فيلَه الأعظم، واسمه: محمود، ولم يكن في زمانه أقوى منه ولا أعظم، فبعث به إليه،

---

(١) في تاريخ الطبري ٢/ ١٤٨: البينجان، والمثبت من السيرة ١/ ٦٩، والنسخ مضطربة في رسمه.

(٢) في المعارف ٦٣٩: وأن النبي ﷺ بعث باذان عامل أبرويز عليها ـ يعني اليمن ـ ومعه قائدان من قوّاد أبرويز يقال لهما: فيروز وداذويه، فأسلموا.

ومعه ثلاثة عشر فيلاً، ثم خرج أَبرهةُ بجنوده ومعه مُلوك حِمْير والأَقيال، وبلغ العربَ فأعظموه، ورأوا جهادَه حقّاً عليهم.

وخرج عليه ملكٌ من ملوك حِمْير، يقال له: ذو نَفر بمن أطاعه من قومه، فقاتله فهزمه، وأُخِذ ذو نفر فأُتي به إلى أَبرهة، فقال له: أيُّها الملك، لا تقتُلْني فإن بقائي لك خيرٌ، فاستحياه وأَوثقَه، وكان أَبرهةُ ذا أناةٍ.

ثم مرَّ ببلاد خَثْعَم، فخرج إليه نُفَيل بن حبيب الخَثْعَميُّ في قبيلَيْ خَثْعَم ومَن اجتمع إليه من قبائل اليمن، فقاتلوه فهزمهم، وأَخذ نُفَيلاً، فقال له: أيُّها الملك، لا تقتُلْني فإنّي دليلٌ في أرض العرب، وهاتان يداي على قومي بالسَّمع والطَّاعة، فاستبقاه، وخرج معه يَدلُّه.

فلما مرَّ بالطائف، خرج مسعود بن مُعَتّب الثقفيُّ في رجال من ثقيفٍ، فقال: أيُّها الملك، إنما نحن عبيدُك، ليس لك عندنا خلاف، وليس بيتُنا هذا البيتَ الذي تُريد ـ يَعنون اللَّات ـ إنما تُريد البيتَ الذي بمكَّة، نحن نَبعثُ معك من يدلُّك عليه، فبعثوا أبا رِغالٍ مولى لهم، فمات بالمُغَمَّس، وهو الذي يُرجَم قَبرُه إلى هلمَّ جرّا.

وقال البَلاذُري: كان أبو رِغال من العرب العاربة، وله سلطان بالطائف، وكان ظلوماً غشوماً، أتى يوماً على امرأة تُرَبّي طفلاً يتيماً في عام جَدْبٍ بلبن عَنْز، لم يكن بالطائف شاةٌ لَبونٌ غيرَها، فأخذها منها، فمات الصبيُّ جُوعاً، فرماه الله بقارعة فأهلكه، فدفن بين مكة والطائف، فقبره هناك يُرجَم على وَجْه الدهر.

ويقال: إنه كان عبداً لشُعيب بن ذي مِهْدم[1] الحميري الذي قتله قومُه، وكان فيما يزعمون أنه مبعوث إليهم، فلما بلغه ما فعله بالصبيّ، أمر به شعيب فقُتِلَ، ورُجِم قبرُه.

وقيل: كان جدُّ الحجّاج يَخدُم أبا رِغال، ولهذا قيل للحجاج: عبدُ بني رغال[2].

وأبو رِغال من بقيّة ثمود. قال جرير يهجو الفرزدق: [من الوافر]

إذا مـات الـفـرزدقُ فـارجُـمـوه ... كـمـا تَـرمـون قـبـرَ أبـي رغـالِ[3]

---

(١) في (ب) و(ك): مهدي، وفي (خ): معدي، والمثبت من أنساب الأشراف ١/ ٢٩.

(٢) في (ب): عبد آل ذي رغال، وفي أنساب الأشراف: عبد أبي رغال.

(٣) ديوانه ٢/ ٥٤٧.

وبعث أَبرهةُ على مُقدّمته الأَسود بنَ مَقْصود من الحبشة، فجمع أموالَ أهلِ الحرم، وأصاب لعبد المطَّلب مئتي بعيرٍ.

وبعث أَبرهةُ حُناطَةَ الحميريَّ إلى أهل مكة، يَسأل عن شريفها، ويقول لهم: لم آتِ لقتالكم، وإنما جئتُ لأَهدم هذا البيت، فدلُّوه على عبد المطلب، فقال عبد المطلب: نحن لا نُقاتلُه، وليس لنا به طاقةٌ، وسنُخلي بينه وبين ما جاء له، فإن هذا البيتَ الحرام بيتُ الله، وبيتُ إبراهيم خليله، فإن يمنعه، فهو بيتُه وحرمُه، وإن يُخلِّ بينه وبين ذلك فوالله ما لنا به طاقة.

قال: فانطلِقْ معي إلى الملك، فأردفه على بغلةٍ له، وخرج به حتى قَدِم العسكر، وكان ذو نَفْرٍ صديقاً لعبد المطلب، فأتاه فقال: يا ذا نَفْر، هل عندك من غَناءٍ فيما نزل بنا؟ فقال: وما غَناء أسير لا يَأمنُ أن يُقتلَ بُكرةً أو عشيّاً، ولكن سأبعثُ إلى أُنَيْس سائس الفيل، فإنه لي صديق، فأسأله أن يصنعَ لك عند الملك ما استطاع من خير، ويُعظّم خَطرَك ومنزلتك عنده.

وأرسل إلى أُنيْس، فأتاه فقال: إن هذا سَيّد قريش الذي يُطعم الناس في السَّهل، والوحوشَ في رؤوس الجبال، وصاحب عِير[1] مكة، وقد أصاب له الملك مئتي بعيرٍ، فإن قدرت أن تنفعه عنده، فانفعه، فإنه صديقٌ لي، فدخل أُنَيس على أبرهة، وعرَّفه منزلةَ عبد المطلب، وذكر له مثل ما ذكر ذو نَفْر، وقال: أحبُّ أن تأذنَ له في الدخول عليك.

وكان عبد المطلب وسيماً جسيماً عظيماً، فأذن له فدخل، فلما رآه أبرهة عظَّمه وأكْرمَه، وكرِه أن يُجلسه معه على سريره، أو يجلسه تحته، فهبط عن سريره، فجلس على البِساط، ثم أجلسه معه، وقال لترجُمانه: قل له: ما حاجتُك؟ فسأله التّرجُمان فقال: حاجتي أن يَردَّ علي الملك مئتي بعير لي أخذها أصحابُه، قال: قل له: لقد أعجبْتَني حين رأيتُك، والآن فقد زهِدْتُ فيك، قال: ولم؟ قال: جئتُ إلى بيتٍ هو شرفُك وشرفُ آبائك لأهدمَه لا تكلِّمني فيه، وتكلِّمُني في مئتي بعيرٍ أصبتُها، فقال عبد

(١) في النسخ: عين. والمثبت من السيرة ١/ ٤٩، والطبري ٢/ ١٣٣.

المطلب: أنا ربُّ هذه الإبل، ولهذا البيت ربٌّ سيمنعُه، فقال: ما كان لِيمنَعه منّي، قال: فأنت وذاك، وأمر بردِّ إبله، فرُدَّت إليه.

قال ابن إسحاق: وذهب عبد المطلب إلى أبرهة بعَمْرو[١] بن نُفاثة بن عدي بن الدُّئل سيِّد بني كنانة يومئذ، وخُوَيْلد بن واثِلة سيّد بني هُذَيل، فعرضا على أبرهة ثُلُث أموال تِهامة، على أن يرجع عنهم، ولا يهدم البيت، فأبى عليهم، فرجع عبدُ المطلب إلى مكة، وأخبر قريشاً الخبر، وأمرهم أن يتفرَّقوا في الشِّعاب، ويتحرَّزوا في رؤوس الجبال، تخوُّفاً عليهم من معرّة[٢] الجيش، ففعلوا، ثم أتى عبدُ المطَّلب إلى الكعبة، فأخذ بحَلْقة الباب وجعل يقول: [من مجزوء الكامل]

لا هُمَّ إن المَرْءَ يَمـ ... ـنعُ رَحْلَه فامنع حِلالَكْ
لا يَغْلبنَّ صَليبُهم ... ومِحالُهم غَدْواً مِحالَكْ
جَرُّوا جُموعَ بلادهم ... والفيلَ كي يَسْبُوا عِيالَكْ
عَمَدُوا حِماك بكَيدِهم ... جَهْلاً وما رَقَبوا جَلالَكْ
إن كنتَ تارِكَهم وكعـ ... ـبَتنا فأمرٌ ما بدا لك[٣]

ثم قال لهم: [من الرجز]

يا ربِّ لا أرجو لهم سِواكا ... إن عدوَّ البيت مَنْ عاداكا
يا ربِّ فامنَعْ منهم حِماكاً ... امنَعْهم أن يُخربوا قُراكا[٤]

ثم ترك الحَلْقة، وتوجَّه مع قومه في بعض الوجوه، وأصبح أبرهة بالمُغَمَّس قد تهيَّأ للدُّخول، وعبّى الحبشة، وهيَّأ الفيلَ الأعظم، فأقبل نُفَيْل الخَثْعَمي إلى الفيل، فأخذ بأُذنه وقال: ابرُك محمود، أو ارجع راشداً حيث جئت، فإنك في بلد الله الحرام.

وكان الفيل أَمام الجيوش مُزَيَّناً بالسلاح، والرجال حوله، فبرك، فبعثوه نحو مكة فأبى، فضربوه بالمِعْوَل في رأسه، وأدخلوا تحت مَراقِّه مَحاجِنَهم، وضربوه ليقوم فأبى

---

(١) في السيرة ١/ ٥٠: يَعْمر، والمثبت موافق لتاريخ الطبري ٢/ ١٣٤.
(٢) في النسخ: مغيرة، والمثبت من السيرة والطبري.
(٣) انظر السيرة ١/ ٥١، والطبري ٢/ ١٣٥.
(٤) تاريخ الطبري ٢/ ١٣٤.

أن يتوجّه إلى الحرم، فوجَّهوه إلى اليمن فقام يُهرول، فوجّهوه إلى الشام فتوجَّه، ثم إلى المشرق فتوجَّه، فصرفوه إلى الحرم فبرك، وخرج نُفَيْل يشتدُّ حتى صعد الجبل، وأرسل الله طيراً من البحر أمثالَ الخَطاطيف، مع كلّ طَيْرٍ منها حَجرٌ في منقاره، وحجران في رِجلَيْه، أمثال الحمّص والعَدَس، فلما غَشِينَ القومَ أرسلْنَها عليهم، فلم تُصبْ تلك الحجارةُ أحداً إلا هلك، وليس كلّ القوم أصابت، فخرجوا هاربين، يبتدرون الطريق الذي جاؤوا منه، ويسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلهم على الطريق إلى اليمن، فقال نُفيْل حين رأى ما أنزل الله بالقوم من النّقمة: [من الرجز]

أيــن الــمَــفَــرُّ والإلــهُ الــطّــالــبْ والأشــرمُ الــمَــغْــلــوبُ غــيــرُ الــغــالــبْ

ومَرِج أمرُ القوم، وماج بعضهم في بعض، فخرجوا يتساقطون في كلّ طريق، ويهلكون على كل مَنْهل، وبعث الله على أبرهة داءً في جسده، فجعل تتساقط أناملُه وجسدُه، كلما سقطت أُنملةٌ اتَّبعتْها أُنملة، فانتهى إلى صنعاء وهو مثل الفَرْخ، ثم انصدع قلبُه ومات.

وقيل: كان أبو مسعود الثقفي ـ وهو مكفوف البصر ـ يصيف بالطائف، ويَشتو بمكة، وكان رجلاً نبيهاً نبيلاً، وكان خِلًّا لعبد المطلب، فقال له: يا أبا مسعود، ماذا عندك؟ هذا يوم لا يُستغنى فيه عن رأيك.

فقال أبو مسعود: اصعَدْ بنا حِراء، فصعدا الجبل، فمكثا فيه، فقال أبو مسعود: اعْمِد إلى مئةٍ من الإبل، فاجعلها لله تعالى، وقلِّدها، ثم بُثَّها في الحرم، لعلَّ بعضَ هذه السُّودان أن يَعقرَ منها، فيغضبَ ربُّ هذا البيت فيأخُذَهم، ففعلَ عبد ا لمُطَّلب ذلك، فعمد القوم إلى تلك الإبل، فعقروا بعضها.

فقال [أبو مسعود]: إن لهذا البيت ربّاً يمنعُه، فقد نزل تُبَّع وأراد هدمه، فمنعه الله وابتلاه، فكساه، وعظَّمه، ونَحَر له، فانظر نحو البحر، فنظر عبد المطلب فقال: أرى طيراً بِيضاً، نشأت من شاطىء البحر، قال: فهل تعرفُها؟ قال: لا والله، وليست بنجديّة، ولا تِهامية، ولا عدنية، ولا شامية، وهي أمثال اليعاسيب، في مناقيرها حصًى مثلُ حصى الخَذْف، قد أقبلت كالليل، يَتبع بعضُها بعضاً، أمام كلِّ فرقةٍ طائرٌ أحمر يقودُها.

فجاءت، حتى إذا حاذَت العسكرَ طارت فوق رؤوسهم، ثم هالَتْ عليهم ما في مناقيرها، وعلى كلِّ حَجَرٍ مكتوبٌ اسمَ صاحبه، ثم إنها انصاعت راجعةً من حيث جاءت.

فلما أصبحا نزلا من الجبل، وجاءا إلى العَسْكر فإذا هم خامدون، يقع الحجر على بَيْضة أحدهم فيخرقها، وتغيبُ في الأرض، فحفر عبد المطلب حفرةً له، وحفرة لصاحبه، وملأَهما ذهباً أحمر، ونادى في الناس فتراجعوا، وأصابوا من أموالهم ما ضاقوا به ذرعاً.

وقال أبو الجَوزاء: خلقها الله في ذلك الوقت، فكان الحجرُ يَنفُذ في البيضة، ويَغيب في دماغ الرَّجل، ثم يَخرج فيغيب في الأرض من شدَّة وَقعه، وكذا فعلت بالدَّواب والفِيَلة، إلا محموداً فإنه سَلِم لكونه لم يَقدرْ على الكعبة، وأفلت أبو يَكسوم صاحبُ جيش أبرهة، ووزيرُه ونديمُه، فسار إلى الحبشة وعلى رأسه طائر لم يَشعر به، حتى دخل على النجاشي فأخبره بما أصابهم، فلما استتمّ كلامَه، رماه ذلك الطائر بحجر فقتله، فأرى الله النجاشيَّ كيف كان هلاكهم.

وامتلأت بهم الأوديةُ، وفِجاجُ مكة، فبعث الله سيلاً، فحملهم فألقاهم في البحر، وعَظُمَت قريش في أعين الناس، وقالوا: هؤلاء أهلُ الله، قاتل عنهم، وكفاهم مؤونةَ عدوِّهم، وأكثر الناسُ الأشعارَ في ذلك، فقال أمية بن أبي الصَّلْت: [من الخفيف]

إن آياتِ ربِّنا بيِّنات ... ما يُماري فيهنَّ إلا الكَفُورُ
حَبس الفيلَ بالمغَمَّس حتى ... ظلَّ يَحبو كأنَّه مَعقورُ
حوله من رجال كِندةَ فِتيا ... نٌ مَصاليتُ في الحروب صُقورُ
غادروه ثم ابْذَعَرُّوا سراعاً ... كلُّهم عظمُ ساقِه مكسورُ
كلُّ دِينٍ يومَ القيامة عند الـ ... ـله إلا دين الحنيفة زُورُ[1]

والنجاشي الذي كان في زمن رسول الله ﷺ ـ واسمه: أَصحمة ـ هو ابنُ ابنِ النجاشي الذي كانت في أيامه قصةُ الفيل، وكانت قصة الفيل في أيام كسرى أنوشروان

(١) ديوانه ص ٣٩١. وابذعروا: تفرقوا.

العادل، وقالت عائشة رضي الله عنها: رأيتُ قائدَ الفيل وسائسَه بمكة أعميَيْن مُقعَدَيْن، يستطعمان الناس[١].

وقَصَّ الله قصة الفيل على رسول الله ﷺ، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ السورة، واتَّفق أهلُ السِّيَر على أن أوّلَ يوم من المُحرَّم عام الفيل كان يوم الجمعة، وأن أبرهة وصل إلى مكّة يومَ الأحد سابع عشر مُحرَّم، وفيه هَلَك.

فصل في قصة عبد الله بن الثامر

قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: حدثنا عفان بن مُسلم، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كان مَلِكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فمرض الساحر، فقال للملك: إني قد كَبِرت، وحضر أَجلي، فادفع إليَّ غلاماً أعلِّمُه السِّحْر، فدفع إليه غُلاماً، فكان يَختلفُ إليه، وكان في طريقه راهبٌ، فمرَّ به الغلامُ، فأعجبه كلامُه، فكان يُطيلُ القُعودَ عنده، فإذا أتى أهلَه ضربوه، وكان إذا أتى الساحر ضربه، فشكا ذلك إلى الرّاهب، فقال: يا بني، إذا استبطأَك الساحر فقل: حَبَسني أهلي، وإذا استبطأك أهلُك، فقل: حبسني الساحر.

فمرَّ ذات يوم بدابّةٍ قد حبسَت الناس، وكانت فظيعةً، فقال: اليوم أعلمُ أمرَ الراهب والساحر، الرّاهبُ أفضل أم السَّاحر؟ فأخذ حجراً وقال: اللهم إن كان أمرُ الراهب أحبَّ إليك من أمر الساحرِ، فاقتل هذه الدابة، فرماها، فقتلها، ومضى الناسُ، وأخبر بذلك الراهب، فقال له: يا بنيَّ، إنك ستُبتلى، فإن ابتُليت فاصبر، وفي روايةٍ: يا بني، أنت اليوم أفضلُ منّي، وقد بلغ من أمرك ما أرى، فإنك ستُبتلى، فإن ابتُليتَ، فلا تدلَّ عليّ.

وكان الغُلام يبرىء الأكمه والأبرص، ويُداوي الناس، فبينا هو على ذلك إذ عَمِي جليسُ الملك، فأتاه بمالٍ عظيم، وقال: اشفني، ولك هذا، ولك ما هاهنا، فقال: إني لا أشفي أحداً، ولكنّ الله هو الشافي، فإن آمنت به دعوتُه فشفاك، فآمن بالله، فدعا له الله فشفاه.

---

(١) السيرة ١/ ٥٧.